طريقة السّرد في قصّة "الجرذ والنّاسك" لعبد اللّه بن المقفّع*

عبد العالي بشير

جامعة تلمسان

الجزائـر

• مقدّمة

تهدف هذه الدّراسة إلى معالجة إشكاليّة السّرد في قصة "الجرذ والنّاسك" لعبد اللّه بن المقفّع، وقد حاولنا في البداية الوقوف عند اللّحظات الأساسيّة في النّصّ مركّزين في ذلك على عرض أجوائه العامّة، ومختلف الهيئات السّرديّة التي أسهمت في بناء مضامين الحكاية من خلال الوقوف على الطّريقة التي كان يتمّ بها منح الكلمة إلى هذه الشّخصية أو تلك.

وقد عرّجنا بعد ذلك على ضبط الحلول المعجميّة للنّص لتحديد تشكلاته الدلالية. وقد أفضت بنا هذه العمليّة إلى إشكاليّة تقطيع النص وإمكانية ضبط المعايير التي يمكن تسخيرها لتجزئته.

من هذه المنطلقات، ضبطنا البرامج السردية الأساسية التي اخترقت النّصّ ومنحته التّماسك الدّلاليّ.

كما عملنا على تجلية العناصر التي تدخل في تشكيل كفاءات الفاعلين في النّصّ وهذا في سبيل التّصدّي لدورته الدلالية وآليات اشتغالها.

1. نظام النص

تعتبر قصة "الجرذ والناسك" إطارا لقصتين هما : "مثل المرأة البائعة السمسم المقشور بغير المقشور، ومثل الذئب ووتر القوس" المكمّلتين والمتممتين للقصّة الأمّ. وتعالج هذه القصص موضوع : "عواقب الحرص على الجمع والادّخار".

2. تقديم عامّ للقصص

يحكى أن ناسكا كان يؤتى بكلّ ليلة بسلّة من طعام، يتعشى ثم يضع بقيته ويعلقها. وكان الجرذ يراقبه حتى يخرج، فيأتي إلى السّلّة فلا يدع فيها شيئا إلاّ أكله.

وفي ذات ليلة نزل ضيف بمنزل الناسك، فأكلا جميعا. ثم شرع الضيف يحدثه عن البلدان التي زارها، وما رأى من الأمور. فجعل الناسك يصفق بيده لينفّر الجرذ. فغضب الضيف من تصرف الناسك وقال : "أنا أحدثك، وأنت تهزأ بي وتصفق بيدك". فاعتذر له النّاسك. وقال له : كنت أفعل ما رأيت لأبعد جرذا في البيت لست أضع طعاما إلاّ أكله.

سأله الضيف : "هل يوجد بالبيت جرذ واحد أم جرذان كثيرة ؟ فقال الناسك يوجد بالبيت جرذان كثيرة، ولكن واحد منها هو الذي آذاني ولم أجد حيلة للقضاء عليه. فقال له الضّيف هذه القصّة تذكّرني بقصّة "المرأة البائعة السّمسم المقشور بغير المقشور". ثمّ شرع في سرد أحداث القصّة قائلا : نزلت مرّة برجل في مدينة ما وبعد أن تعشينا، فرش لي وانصرف إلى مضجعه مع زوجته، ولم يكن يفصل بيني وبينهما سوى عازل من القصب.

فسمعت الرّجل يقول لزوجته : إنه ينوي دعوة جماعة لتناول الطّعام عنده. لم توافق الزّوجة على هذه الدّعوة، بحجّة أنّه لا يوجد في البيت من الطّعام ما يكفيه هو وأفراد عائلته. فقال لها الزّوج : لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه. لأنّ الجمع والادّخار كان عاقبة صاحبهما كعاقبة "الذّئب ووتر القوس".

وبعد انتهاء الضّيف من سرد حكاية "المرأة بائعة السّمسم المقشور بغير المقشور" أخذ الزّوج دور السارد فحكى لزوجته قصّة "الذّئب ووتر القوس"، فقال : خرج صياد غاديا بقوسه ونشابه يلتمس القنص والصّيد. وما إن قطع مسافة طويلة حتى صادفه ظبي فأصابه بقوسه، فحمله وهمّ بالانصراف إلى منزله، فعرض له في طريقة خنزير، فأخذ القوس ورماه بالسّهم فأنفذه، ولكن الخنزير أدرك الصّياد فضربه بنابه، فوقعا جميعا ميتين. فمرّ عليهما ذئب فوثق بالصّيد، وقال في نفسه : "ينبغي أن أدّخر ما استطعت فإن من فرّط في الجمع والادّخار فليس بحازم" ثمّ قرّر أن يكتفي في تلك اللّحظة بأكل وتر القوس، فلما قطع الوتر طارت القوس فأصابت جوفه فمات. أعجبت الزّوجة بالقصّة واقتنعت بفكرة الضّيافة التي كان الزّوج قد اقترحها عليها من قبل، وسمحت له باستدعاء من يحب.

لقد شرعت الزّوجة في تحضير الطّعام، فنشرت السمسم وبسطته في الشّمس ليجف، وطلبت من زوجها أن يبقى أمام السمسم لطرد الطّير عنه والكلاب، ولكن الزّوج غفل عنه. فذهب كلب لهم فأكل منه، فبصرت به الزّوجة فكرهت أن تصنع منه طعاما. فانطلقت به إلى السّوق واستبدلته بسمسم غير مقشور مثلا بمثل.

وبعد عرض قصّة "المرأة بائعة السّمسم المقشور بغير المقشور" وقصّة "الذّئب ووتر القوس"، يعود بنا الرّاوي مرّة ثانية إلى قصّة "الناسك والجرذ"

ليسرد علينا بقيّة أحداثها فيقول : لقد طلب الضّيف من النّاسك فأسا، ثم شرع في عملية الحفر، فعثر على ألف دينار في الجحر، كان الجرذ يفترشها ويتقلّب عليها، فاستخرجها. ومنذ ذلك اليوم لم يقو الجرذ على الوثوب، ولم يعد له فضل على سائر الجرذان. فانتقل من جحره إلى جحر آخر لأنّه أحسّ بالضّعف والانكسار.

3. الحقل المعجمي

تسمح عملية إقامة جدول الحقل المعجمي بمعالجة أولية للمعنى من خلال المظهر اللّفظي للخطاب، وبإدراك مراتب التّشاكل الدّلالي في النّص.[1] نقوم في المرحلة الأولى باستخراج الألفاظ الموظّفة، ونصنّفها وفق المقولات الدّلاليّة الآتية :

الغنى (المال)	الفقر	الإنفاق	الادّخار
1- إنّ المال جعل زيادة في القوّة والرّأي.	1- وليس في بيتك فضل عن عيالك	1- أريد أن أدعو غدارهطا يأكلون عندي	1- كان يؤتى كل ليلة بسلّة من طعام فيتعشّى منه ثم يضع بقيّته ويعلقها.
2- ما أرى التبع والإخوان والأهل إلا مع المال	2- بل نحسبه يحتاج إلى من يعوله	2- لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه	2- جهد الناسك مرارا على أن يجعلها في مكان لا أناله

3- لا تظهر المروءة والرّأي والمودّة إلا به (المال)	3- الرّجل إذا أصابه الضر والحاجة رفضه إخوانه وقطع ذو قرابته ودّه وهان عليهم	3- وأنت رجل لا تبقي شيئا وتدخره	3- جعل النّاسك يصفّق بيده أحيانا لينفرني عن السلة
4- من لا مال له لا عقل له.	4- لا شيء أشد من الفقر	4- الحرص على الجمع والادّخار وخيم العاقبة	4- كنت أفعل الذي رأيت لأنفر جرذا في البيت لست أضع فيه طعاما إلا أكله.
	5- الفقر رأس كل بلاء وداعية المقت إلى صاحبه	5- رأيت أن الضّيف حين أخرج الدّنانير من الجحر قاسمها الناسك	5- فإن من فرط في الجمع والادّخار فليس بحازم

	6- الموت أهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة	6- البلايا في الدّنيا إنّما يسوقها إلى صاحبها الحرص والشره	
	7- لا تحزن لقلّة مالك. 8- ليس يفرح عاقل بكثرة ماله ولا يحزن لقلته.	7- لا ينبغي لأحد أن يلتمس من الدّنيا فوق الكفاف. الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه.	
الدّلالـــــــــــــــــــــــــــــــة			
الاحترام/التبجيل العلو/الرفعة	الاحتقار/ الازدراء الضعة	الكرم/ الجود القناعة	الشح/ البخل

ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول هو أنه قد احتوى على مجموعات معجمعيّة ضدّية، فالمال يقابله الفقر، والادّخار يقابله الإنفاق. لقد حاول السّارد من خلال تلك الملفوظات السّرديّة، تقديم فكرة مفادها أنّ الادخار صفة ذميمة، وينبغي على الإنسان أن لا يتصف بها، وأن لا يلتمس من الدّنيا فوق الكفاف الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه.

4. طريقة السرد

لقد تعاقب على سرد أحداث القصص الثلاث مجموعة من الساردين. فقد بدأ الجرذ بسرد أحداث القصّة الأولى مستعملا ضمير المفرد المتكلم "كان أوّل منزل نزلته في مدينة يقال لها ماروت، في بيت رجل من النساك..." وهو الذي عرّفنا بشخصية الضّيف الذي حل بمنزل الناسك من خلال الحوار الذي دار بينهما "ثم إن الناسك نزل به ضيف ذات ليلة، فأكلا جميعا، حتى إذا كانا عند الحديث قال الناسك للضيف : من أي أرض أنت ؟ وأين وجهتك الآن ؟

ورى لنا الضّيف قصة "المرأة بائعة السمسم المقشور بغير المقشور". بينما قص علينا الزّوج أحداث قصّة "الذّئب ووتر القوس". وفي الأخير تدخل الرّاوي ليسرد علينا ما تبقى من أحداث القصّة الإطار.

5. التّقطيع

تقبل القصص المدروسة تقطيعا يستند إلى تمفصلات حديثة وأخرى تتعلّق بالأطراف المتصارعة، وأخرى لها علاقة بالمكان والزّمان الذي تجري فيه الأحداث.[2] ففي القصّة الأولى/ القصّة الإطار "الجرذ والناسك" تجري أحداثها في "بيت رجل من النساك" أما الطّرفان المتصارعان/ المتواجهان في القصّة فهما : الناسك والجرذ. ويتجلى هذا الصّراع في كون الجرذ كان يأتي في كل ليلة على كل ما بقي من الطّعام الذي كان يضعه الناسك في سلته ويعلّقها.

وتدور أحداث قصّة "الذئب ووتر القوس" في فضاء الصّيد. أما المواجهة الأولى فكانت بين الصّياد والخنزير، حيث أنّ الصّياد بعدما أصاب الظّبية همّ بالانصراف إلى منزله، فعرض له خنزير فأخذ القوس ورماه بالسّهم فأنقذه، ثم أدركه الخنزير فضربه بنابه، فوقعا جميعا ميتين.

وفي قصّة "المرأة بائعة السّمسم" كانت المواجهة بين الزّوجة والزّوج، والزّوجة والكلاب والطّير. فقد بسطت السّمسم في الشّمس ليجف، وطلبت من زوجها أن يطرد عنه الطّير والكلاب، ولكنّ الرجل غفل عنه لبعض شأنه، فذهب كلب لهم إليه فأكل منه فبصرت به المرأة فقذرت السمسم وكرهت أن تصنع منه طعاما. فانطلقت إلى السوق به وأخذت به سمسما غير مقشور.

أما المواجهة الثالثة، فكانت بين الضّيف والجرذ حيث التمس هذا الأخير من الناسك فأسا، وشرع في حفر جحر الجرذ، فعثر على ألف دينار، فاستخرجها منه، ومن ذاك الحين لم يقو الجرذ على الوثوب إلى السّلة، وشعر بالضّعف والنّقصان والانكسار، فانتقل إلى جحر آخر.

أما المواجهة الرّابعة : فقد كانت بين الناسك والجرذ، فبعدما أخرج الضيف الدّنانير من الجحر قاسمها الناسك، فوضع هذا الأخير نصيبه في وعاء من الجلد عند رأسه، فطمه الجرذ أن يصيب من الدّنانير شيئا يرد به بعض قوّته وعزّته بين الجرذان، فانطلق نحو الناسك وهو نائم، فاستيقظ هذا الأخير لحركته فضربه بقضيب على رأسه فأوجعه، ففرّ إلى جحره ولما سكن عنه ما كان به من وجع نازعه الحرص والشّره على أن يعيد الكرة مرة ثانية، فدب حتى دنا من الناسك وهو يرصده، فعاد عليه بضربة أخرى على رأسه حتى سالت منه الدّماء، فانقلب ظهرا على بطن، وانجر حتى دخل إلى جحره مغشيا عليه.

ويمكن بيان هذا المسار السردي من خلال الجدول الآتي :

القصة	أصناف الوظائف	الوظائف	الملفوظات السّرديّة
قصّة الجرذ والنّاسك	اضطراب	وقوع أذى	1- فأرصده (الجرذ) حتى يخرج (الناسك) ثم أتى إليهما (السلة) فلا أدع عليهما شيئا إلاّ أكلته، ورميت به إلى الجرذان.
	تحول	مواجهة	1- فجعل الناسك يصفق بيده أحيانا لينفرني عن السلة.
	الحل	التعليق الإبعاد والطرد	1- كان يؤتى (الناسك) كل ليلة بسلة من طعام فيتعشّى منه ثم يضع بقيته ويعلقها. 2- ولكن كنت أفعل الذي رأيت لأنفر جرذا في البيت لست أضع فيه طعاما إلا أكله وقد شق علي ذلك.
	اضطراب	الامتناع	1- وكيف تفعل ذلك وليس لك في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئا ولا تدخره.

	تحوّل	الإقناع	1- فقال لها : لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه.
	حل	الإطعام	1- فقالت له: نعم قلت وعندي من الأرز والسمسم ما فيه طعام لستة رهط أو سبعة، وأنا غادية على صنيعه فادع من أحببت غدا.
قصّة الذئب ووتر القوس	اضطراب	الظفر	1- فلما رآها (الصياد والخنزير) وثق بالخصب.
	تحول	القضاء على النقص	1- فإن من فرط في الجمع والإدّخار ليس بحازم، وأنا جاعل ما وجدت كنزا ومكتف يومي هذا بوتر القوس.
	حل	الهزيمة	1- فدنا منه (من وتر القوس) فلما قطع الوتر طارت القوس فأصابت سيتها مقتلا من جوفه. فمات.

6. البرامج السّردية

ينجم البرنامج السّردي عن حالات وتحولات تترابط على أساس العلاقة الموجودة بين الفاعل والموضوع وتحوّلها.[3] وهذه العلاقات تكون في جميع الحالات إما وصلية أو فصلية، ويمكن أن نقيد في النّصوص السردية التي نحن بصدد دراستها البرامج السردية الآتية :

البرنامج السّردي الأوّل : ويتعلّق بالناسك وضيفه، وقد اتّسمت حالة الناسك بوضعيتين :

الوضعيّة الأولى : كان الناسك في وصلة مع الضيف (ثم إنّ الناسك نزل به ضيف ذات ليلة، فأكلا جميعا ... فأنشأ يحدّثه عما وطئ من البلدان ورأى من الأمور).

الوضعية الثانية : كان في فصلة مع الضّيف (فجعل الناسك يصفق بيديه أحيانا لينفرني عن السلة، فغضب الضّيف وقال : أنا أحدّثك، وتهزأ بي، فما حملك على أن تسألني وأنت تفعل هذا ؟).

أما موضوع القيمة فيتمثل في سلّة الطّعام، وقد قام بدور الفاعل المنفذ الناسك حيث حاول باستمرار منع الجرذ من تناول ما بقي من طعام في السلة.

البرنامج السّردي الثاني : خاص بالمرأة بائعة السّمسم المقشور، واتّسمت حالتها أيضا بوضعيتين :

الوضعية الأولى : كانت فيها في فصلة مع زوجها (رفض فكرة الزّوج لما همّ بدعوة جماعة لتناول الطّعام عنده).

الوضعيّة الثانية : كانت فيها في وصلة مع زوجها (الاقتناع في الأخير بفكرة الزوج والسّماح له بدعوة من يحب).

يتمثّل موضوع القيمة في السّمسم/ الطّعام، والفاعل المنفذ هي الزّوجة، حيث شرعت في الصّباح في قشر السّمسم وتحضيره

البرنامج السّردي الثالث : ويظهر من خال تصرف الذئب حيال وتر القوس.

وقد تميّزت حالة الذّئب بوضعيتين :

الوضعية الأولى : كان فيها في وصلة مع الحياة (قبل الدنو من القوس والشّروع في أكل وتره).

الوضعية الثانية : كان فيها في فصلة مع الحياة (لما شرع في أكل وتر القوس، فأصابت سيتها مقتلا من جوفه).

فقد تحول الذئب في هذا البرنامج إلى فاعل منفذ، أما موضوع القيمة فيتمثل في وتر القوس.

ولنجاح البرنامج السردي يشترط وجود موضوع وتحريك وكفاءة، ويتحقّق البرنامج السردي بتحقق أو توفّر شروط الكفاءة في الفاعل المنفذ أي امتلاكه لمجموعة من الموجّهات (les modalités)[4].

- معرفة الفعل.
- رغبة الفعل.
- وجوب الفعل.
- قدرة الفعل.

ولتوضيح هذا الكلام نستعين بقصّة الجرذ والناسك.

معرفة الفعل : (رصد المكان الذي توجد به سلة الطّعام)

رغبة الفعل : (الاستعداد للوثوب على السّلة)

وجوب الفعل : (التّصميم على تناول الطّعام)

قدرة الفعل : (نجاح الخطّة، والظّفر بالطّعام)

- **الكفاءة**: قدّمت القصّة الإطار الذّات المنفذة على أنّها كفاءة، حيث تمكّن الجرذ من رصد مكان تواجد سلّة النّاسك، وأكل كلّ ما يوجد بها من طعام. وفي القصّة الثّانية "الذّئب ووتر القوس" يفشل الصّيّاد في مهمّته بسبب عدم معرفته لطبائع الحيوانات، وكان هذا الجهل سببا في موته : "فعرض له في طريقه خنزير فحمل عليه فوضع الرّجل الطّبي وأخذ القوس ورماه بالسّهم، فأنفذه، وأدركه الخنزير فضربه

بنابه ضربة أطارت القوس والنشاب من يده، فوقعا جميعا ميتين".
والكلام نفسه ينطبق على الذّئب، فجشعه كان سببا في هلاكه : "من فرّط في الجمع والادّخار فليس بحازم، وأنا جاعل ما وجدت كنزا ومكتف يومي هذا بوتر القوس، فدنا منه ليأكله فلمّا قطع الوتر طارت القوس فأصابت سيتها مقتلا من جوفه، فمات". وتتمتّع المرأة بائعة السّمسم في القصّة الثّالثة بكفاءة عالية في صناعة وتحضير السّمسم، كما أنّ حرصها على نظافة الأكلة جعلها تكره تقديم السّمسم المقشور للضّيوف لأنّ كلبا لهم أكل منه.

- **التّحريك**: تظهر في القصص أربعة أطراف محرّكة للفعل : الفأرة، المرأة، الصّيّاد، الذّئب. تكمن القوّة المحرّكة للفعل في طبيعة هذه الكائنات وانحيازها لجنسها. فالجرذ حيوان ماكر، يستعمل الحيلة من أجل الوصول إلى سلّة الطّعام وبعد أن يشبع يرمي بما تبقّى من الطّعام إلى الجرذان. تأتي بعد ذلك المرأة بائعة السمسم، فنصيحة زوجها "لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه" كانت سببا في تحريك إنسانيتها، وقبولها إطعام الجماعة. أمّا الصّيّاد فقد حفّزه إلى الخروج من بيته، التماس الصّيد والقنص. وتشير القصّة الأخيرة إلى الحيلة التي لجأ إليها الذّئب من أجل الحصول على لقمة العيش، فقد تصيّد الذّئب غفلة الصّيّادين ليجهز على الصّيد، ولكنّه وقع في فخّ حيله : "وأنا جاعل ما وجدت كنزا ومكتف يومي هذا بوتر القوس، فدنا منه ليأكله فلمّا قطع الوتر طارت القوس فأصابت سيتها مقتلا من جوفه، فمات".

- **الأداء** : لقد تمّ تقديم الأداءات السّرديّة من خلال البرامج السّرديّة المشار إليها أعلاه. وقد تبيّن أنّ الأداء الأوّل انتهى بنجاح الجرذ في الوثب على السّلّة وتناول الطّعام. ومنى الصّيّاد في الأداء الثّاني

بالفشل، حيث أنّ سذاجته وعدم خبرته في الصّيد "التّأكّد من موت الخنزير" كانت سببا في موته. وقد انتهى الأداء الثّالث أيضا بالفشل، فبمجرّد أن قطع الذّئب وتر القوس طارت هذه الأخيرة فأصابت جوفه، فأردته قتيلا.

7. الشّخصيّات

من المعلوم أنّ الحدث لا يكفي وحده في تأليف قصّة ما، بل لا بدّ من وجود الشّخصيّة التي تدور القصّة معها أو حولها"، فالشّخصيّة هي الكائن الإنسانيّ أو الحيوانيّ الذي يتحرّك في سياق الأحداث". وهي لا تنمو فقط من وحدات المعنى، وإنّما أيضا تصنع من الجمل التي تنطقها أو ينطقها الآخرون عنها"[5]. لقد تنوّعت الشّخصيّات في هذه القصص، وتعدّدت أدوارها، ومع ذلك فإنّه يمكن تصنيفها إلى فئتين :

- شخصيّة إنسيّة : وهي حسب ورودها في النّصوص المدروسة : "النّاسك، الضّيف، المرأة، الزّوج، الصّيّاد"

- شخصيّات حيوانيّة : منها : "الجرذ، الظّبية، الخنزير، الذّئب، الكلب"

الملاحظ أنّ الكاتب لم يعتن بوصف شخصياته لا من الدّاخل ولا من الخارج، ولكنّ القارئ يستطيع أن يستشفّ بعض هذه الأوصاف من خلال الأفعال والأقوال التي أسندت إليها. والجدول الآتي يوضّح ذلك :

الشّخصيّة	المقطع السّرديّ	البطاقة الدّلاليّة
النّاسك	- لم يكن له عيال - كان يؤتى كل ليلة بسلة من طعام فيتعشى منه ثم يضع بقيته ويعلقها . - كنت أفعل الذي رأيت لأنفر جرذا في البيت لست أضع فيه طعاما إلا أكله وقد شق علي ذلك.	الادّخار الاستسلام
الضّيف	- وكان الضّيف قد جال الآفاق	حبّ السّفر والتّجوال
المرأة	- عندي من الأرز والسمسم ما فيه طعام لستة رهط أو سبعة... فادع من أحببت غدا - وذهب كلب لهم إليه فأكل منه فبصرت به المرأة، فقذرته وكرهت أن تصنع من طعاما	حسن الضّيافة النّظافة
الزّوج	- إني أريد أن أدعو غدا رهطا يأكلون عندي	الكرم

الصّيّاد	- فعرض له في طريقة خنزير ... وأخذ القوس ورماه بالسّهم فأنفذه، ولكن الخنزير أدرك الصّياد فضربه بنابه، فوقعا جميعا ميتين.	التّهوّر
الجرذ	- ثمّ أتى إليها، فلا أدع فيها شيئا إلاّ أكلته. - وأحسست في نفسي ضعفا ونقصا وانكسارا. - فطمعت أن أصيب منها شيئا أردّ به بعض قوّتي. - فلمّا سكن عنّي ما كان بي من الوجع نازعني الحرص والشّره.	المكر الحيلة الذلّ الطمع الإصرار
الذّئب	- وأنا جاعل ما وجدت كنزا ومكتف يومي هذا بوتر القوس.	الجشع
السّلحفاة	- فتناس ذلك ولا يكنن من رأيك، واطّرحنّه عنك واعلم أنّ حسن القول لا يكون إلاّ بالعمل	النّصيحة والوعظ

إنّ المتأمّل في الجدول يلاحظ أن الشّخصيات الحيوانيّة مسماة، بينما جاءت الشّخصيات الإنسيّة غفلا. كما أنّ هذه الشّخصيّات فرديّة. أمّا من حيث الحضور فإنّ شخصيّات الخبر (الجرذ، الناسك، الضّيف) حاضرة من بداية النّص إلى نهايته. أمّا من حيث النماء فإنّ الشّخصيتين الناميتين هما (المرأة والجرذ) بينما جاءت بقية الشّخصيات ساكنة. ومن هنا يمكن القول إنّ الشّخصيتين اللّتين جمعت بينهما صفات التّسمية والحضور

والنّماء والأهميّة هما "الناسك والجرذ".[6]

8. الفضاء

يعد الفضاء من أهم العناصر السّرديّة التي تساهم في بناء النّص السّردي، وغالبا ما يستعمل للدّلالة على المجال الطّبيعي الذي تجري فيه أحداث القصّة وتتحرّك فيه شخوصها. تجري وقائع القصص المدروسة في الأفضية الآتية :

- منزل النّاسك : لم يقدّم لنا الكاتب أي وصف لهذا البيت بل اكتفى بتحديد مكانه فقط "كان أول منزل نزلته في مدينة يقال لها ماروت، في بيت رجل من النساك لم يكن له عيال".
- جحر الفأر : يشغل حيزا في بيت الناسك، ويعد مكانا آمنا لحفظ المال، وراحة الجرذ "وكان في جحري ألف دينار، لم أدر من كان وضعها فيه، فكنت أفترشها وأفرح وأعتز بمكانها وأتقلب عليها".
- بيت المرأة : استغل الكاتب وصف هذا الفضاء ليقدم لنا من خلاله الوضعية الاجتماعيّة للنّاس الذين يشغلونه "فقالت : كيف تفعل ذلك وليس لك في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئا ولا تدخره".
- السّوق : مكان للبيع والشّراء وتبادل السّلع.

9. المستوى الدّلالي

لقد حاولت في هذه الدّراسة الكشف عن بنية النّصوص، فتوصّلت إلى أنّها تشكل نظاما متكاملا، بمعنى أن النّص الإطار هو مرتبط من ناحية المعنى بالنّصوص التي تليه، كما أنّ هذه النّصوص قد تضمّنت عدّة دلالات منها :

الدّلالة الأدبيّة : خرج ابن المقفّع في نصوصه القصصيّة عن السّنة الأدبيّة السّائدة في عصره، فجعل القصّة تجري على لسان الحيوان. وإذا كان ابن المقفّع يستهلّ أغلبيّة تلك النّصوص بفعل "زعموا" الذى يشكك

في المتن. فإنّه قد باشر نص "الجرذ والناسك" بعبارة "بدأ الجرذ في قصصه فقال" وأنهاه بعبارة : فصار أمري إلى أن رضيت وقنعت، وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية.

الدّلالة الاجتماعيّة : تحدث ابن المقفّع في نصّه عن ظاهرة الفقر، من خلال المقارنة التي أجراها بين مكانة الغني والفقير في المجتمع. فالإخوان والأهل لا يكونون إلا مع صاحب المال، والرّجل إذا أصابه الضّر والحاجة رفضه إخوانه وقطع ذوو قرابته ودّه وهان عليهم، وأساءوا الظّن به ولا تظهر المروءة والرّأي والمودّة إلاّ بالمال، ومن لا مال له فلا قيمة له. فالفقر رأس كل بلاء، وداعية المقت إلى من أحبه، ومعدن للتّهمة، ومجمعة للبلايا. وليس من خلة هي للغني مدح إلا وهي للفقير ذم.

الدّلالة الخلقيّة : اشتملت النّصوص المدروسة على مجموعة من القيم الخلقيّة، كحث الناس على التّحلي بالرّضا والقناعة، والابتعاد عن الحرص والشره، وعدم الإقبال على جمع المال وسائر متاع الدّنيا.

الإحالات

*- عبد اللّه بن المقفّع، كليلة ودمنة، دار القصبة، الجزائر، ص120-116

1- عبد الحميد بورايو، التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي، منشورات مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر، دار الغرب للنّشر والتوزيع، ص. 69، 2003.

2- عبد الحميد بورايو، التّحليل السيميائي للخطاب السّردي، ص 89.

3- Group d'entrevernes, analyse sémiotique, introduction pratique théorie, édition, Toubkal, 198, p 16.

4- غريماس السيميائيّة السّردية، ترجمة محمد بن كراد، آفاق، اتّحاد كتاب المغرب، العدد 8-9، ص 129.

5- عزيزة مريدن، القصّة والرّواية، دار الفكر، دمشق، 1980، ص 26-27.

6- اعتمدت في تصنيف الشّخصيات على كتاب تحليل النّص السّردي، لمحمد القاضي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1997، ص 81.